

شعرية النثر الصوفي ورمزيتها الخطابية (دراسة تحليلية)

م.م نور محمد مناحي خلف
كلية التربية الأساسية / جامعة واسط

Nour.Muhammad@uowasit.edu.iq

المخلص

يتناول هذا البحث مفهوم شعرية النثر الصوفي بوصفها ظاهرة أدبية تجمع بين النثر والشعر في إطار واحد، حيث يصبح الكاتب في النص الصوفي راوياً وشاعراً في الوقت نفسه. فالنثر الصوفي لا يكتفي بنقل المعنى بشكل مباشر، بل يسعى إلى خلق تجربة جمالية وروحية عميقة من خلال اللغة، مما يجعله قريباً من الشعر في تأثيره وإيحائه. يبدأ البحث بتوضيح مفهوم شعرية النثر، وهي النثر الذي يحمل خصائص شعرية مثل التكثيف، والإيحاء، والصورة الفنية، والإيقاع الداخلي، دون الالتزام بالوزن والقافية. وقد ظهر هذا المفهوم بشكل واضح في الأدب الحديث نتيجة التحولات التي شهدتها الشعر العربي، ومنها التحرر من الأشكال التقليدية والتأثر بالأدب العالمية. وهكذا أصبحت قصيدة النثر شكلاً فنياً يسعى إلى التعبير الحر عن التجربة الإنسانية بأسلوب مكثف ومفتوح الدلالة. ويبرز النثر الصوفي بوصفه من أهم المجالات التي تجلت فيها شعرية النثر، إذ تطور منذ بداياته على شكل أقوال موجزة ومكثفة، ثم تحول إلى نصوص أكثر نضجاً وعمقاً. ويمكن التمييز فيه بين نوعين: نثر يركز على شرح مفاهيم التصوف بشكل مباشر، ونثر آخر إبداعي يعتني بجمال اللغة وإيحائها ليعكس التجربة الروحية. وهذا النوع الأخير هو الذي يمثل شعرية النثر الصوفي، لما يتميز به من كثافة، وغموض، وانفتاح على التأويل. ويؤكد البحث أن اللغة الصوفية تختلف عن اللغة الدينية المباشرة؛ فبينما تهدف اللغة الدينية إلى الوضوح والتحديد، تعتمد اللغة الصوفية على الرمز والإيحاء، لأن التجربة الروحية لا يمكن التعبير عنها بشكل كامل ومباشر، بل تُدرك عبر الخيال والحدس والانفعال. لذلك، فإن النص الصوفي لا يقدم معنى واحداً نهائياً، بل يفتح المجال لتعدد القراءات. كما يتناول البحث تطور الشعرية الصوفية عبر مراحل تاريخية متعددة، بدءاً من القرن الثاني الهجري حيث ظهرت البدايات الأولى، مروراً بمراحل النضج والازدهار، وصولاً إلى ذروتها في القرن السابع الهجري. وخلال هذه المراحل، عبر الصوفيون عن تجاربهم في الحب الإلهي والزهد والتطهر الروحي بأساليب لغوية متميزة تجمع بين التناقض والانسجام في آن واحد. وفي المبحث الثاني، يركز البحث على الدلالة في شعرية النثر الصوفي، مبيناً أن فهم هذا النوع من النصوص يتطلب دراسة المعنى على مستويات متعددة: صوتية، وصرفية، ونحوية، وسياقية. فالمعنى لا يكون ثابتاً، بل يتشكل من خلال العلاقة بين الكلمات داخل السياق. كما أن التغيرات في بنية الكلمة أو صوتها قد تؤدي إلى تغييرات دقيقة في الدلالة. ويبرز البحث أهمية السياق في تحديد المعنى، إذ لا يمكن فهم الألفاظ الصوفية بمعزل عن السياق الذي وردت فيه، خاصة في وصف الكرامات والتجارب الروحية. كما أن الصيغ الصرفية والأفعال تلعب دوراً مهماً في توجيه الدلالة وإبراز المعاني الدقيقة، مما يجعل اللغة الصوفية غنية ومتعددة الأبعاد. ويخلص البحث إلى أن شعرية النثر الصوفي تمثل تداخلاً بين الفن والروح، حيث تتحول اللغة إلى وسيلة للتعبير الجمالي والتجربة الداخلية في آن واحد. ولذلك، فإن فهمها يتطلب الجمع بين التحليل اللغوي والقدرة على التأويل، نظراً لما تتسم به من رمزية وعمق وانفتاح على معانٍ متعددة.

الكلمات المفتاحية: الشعرية، شعرية النثر الصوفي، النثر الصوفي، الخطاب الشعري، الادب الصوفي

The Poetics of Sufi Prose and its Rhetorical Symbolism: An Analytical Study

Noor Muhammad Mnahi Khalaf

College of Basic Education, Wasit University

Abstract:

This study examines the concept of the poetics of Sufi prose as a literary phenomenon that brings together prose and poetry within a unified framework,



wherein the writer in the Sufi text simultaneously assumes the roles of narrator and poet. Sufi prose does not merely convey meaning in a direct manner; rather, it seeks to construct a profound aesthetic and spiritual experience through language, thereby approaching poetry in its evocative and expressive power.

The study begins by clarifying the concept of the poetics of prose, defined as prose that embodies poetic features such as condensation, suggestion, imagery, and internal rhythm, without adherence to meter and rhyme. This concept emerged prominently in modern literature as a result of transformations in Arabic poetry, including the liberation from traditional forms and the influence of global literatures. Consequently, the prose poem has become an artistic form that aspires to freely express human experience through a condensed and open-ended linguistic structure. Sufi prose is highlighted as one of the most significant domains in which the poetics of prose is manifested. It evolved from its early stages as brief and concentrated aphoristic expressions into more mature and complex textual forms. A distinction can be made between two types: one that focuses on the direct exposition of Sufi doctrines, and another creative form that emphasizes the aesthetic and suggestive qualities of language to reflect spiritual experience. It is this latter form that represents the poetics of Sufi prose, characterized by density, ambiguity, and openness to interpretation.

The study further asserts that Sufi language fundamentally differs from direct religious discourse. While religious language aims at clarity and definitiveness, Sufi language relies on symbolism and suggestion, as spiritual experience cannot be fully expressed in explicit terms but is instead apprehended through imagination, intuition, and emotional engagement. Therefore, the Sufi text does not present a single definitive meaning; rather, it allows for multiple readings and interpretations. The research also traces the historical development of Sufi poetics across several stages, beginning in the second century Hijri with its early formations, progressing through phases of maturation and flourishing, and reaching its peak in the seventh century Hijri. Throughout these stages, Sufi authors articulated experiences of divine love, asceticism, and spiritual purification through distinctive linguistic forms that combine paradox and harmony simultaneously. In its second section, the study focuses on semantics within the poetics of Sufi prose, demonstrating that understanding such texts requires an analysis of meaning across multiple linguistic levels: phonetic, morphological, syntactic, and contextual. Meaning is not fixed but is constructed through the relationships between words within their context. Moreover, variations in word structure or sound may lead to subtle shifts in meaning.

The study emphasizes the importance of context in determining meaning, as Sufi expressions cannot be adequately understood in isolation from their textual and situational contexts, particularly in the description of spiritual experiences and miracles. Morphological patterns and verb forms also play a crucial role in shaping meaning and conveying nuanced implications, rendering Sufi language rich and multidimensional. The study concludes that the poetics of Sufi prose

represents an intersection between art and spirituality, where language becomes a medium for both aesthetic expression and inner experience. Accordingly, its comprehension requires a combination of linguistic analysis and interpretive insight, given its symbolic depth, complexity, and openness to multiple layers of meaning

Keywords: Poetics, Poetics of Sufi Prose ,Sufi Prose ,Poetic Discourse ,Sufi Literature

المقدمة

يتناول هذا البحث مفهوم شعرية النثر الصوفي بوصفها ظاهرة أدبية تجمع بين النثر والشعر في إطار واحد، حيث يصبح الكاتب في النص الصوفي راوياً وشاعراً في الوقت نفسه. فالنثر الصوفي لا يكتفي بنقل المعنى بشكل مباشر، بل يسعى إلى خلق تجربة جمالية وروحية عميقة من خلال اللغة، مما يجعله قريباً من الشعر في تأثيره وإيحائه.

ان شعرية النثر الصوفي هي ذاتية سردية تجمع النثر الى الشعر ضمن اطار واحد يجسد في دلالاته التعلق في لغة الصوفية بين السارد الناثر والسارد الشاعر في آن واحد ومن ثم فالنثر والنثر الصوفي في عمومهما وخصوصهما يجسدان سواء ما كان نثراً خالصاً او ما كان نثراً صوفياً شعرياً ذاتية الناثر الذي هو في احيان كثيرة شاعر كذلك ولا شك في ان الادراك المعرفي للحدود المتمازجة بين كل من: النثر والنثر الصوفي والنثر الصوفي الشعري مما يصف الكرامة وتاويلاتها هو جزء لا بد من تحليله وتاويله لفهم اوسع واشمل للنثرية الشعرية على ما سنراه في المباحث التالية:

المبحث الاول: مفهوم شعرية النثر

شعرية النثر مصطلح يعني: النثر الذي يحمل سمات الشعرية . وتوصف بانها عمل يضم بعض خصائص الشعر الغنائي أو جميعها إلا أنها تتخذ شكل النثر. ان شعرية النثر في قصيدة النثر ذات شكل قبل أي شيء ، ذات وحدة مغلقة . هي دائرة ، أو شبه دائرة ، لا خط مستقيم . هي مجموعة علائق تنظيم في شبكة كثيفة ، ذات تقنية محددة ، وبناء تركيبى موحد ، منتظم الأجزاء ، متوازن... أي أنها وحدة عضوية، وكثافة، وتوتر، قبل أن تكون جملاً ، أو كلمات وتوصيف شعرية النثر في تعريفها بانها : تكثيف لفظي.

وقد تطور المصطلح في الغرب بمعنى النثر الذي يحمل سمات الشعرية وأما في الأدب العربي المعاصر فقد كانت أول دراسة عن قصيدة النثر التي تحمل شعرية النثر هي مقدمة ادونيس لديوان انسي الحاج: لن. حيث يرى ادونيس: أن النثر الشعري في شعرية النثر إطنابي يسهب ، بينما قصيدة النثر مركزة ومختصرة ، وليس هناك ما يقيد النثر الشعري مسبقاً ، أما قصيدة النثر فهناك شكل من الإيقاع ، ونوع من تكرار بعض الصفات الشكلية ، ثم إن النثر الشعري سردي وصفي شرطي ، بينما قصيدة النثر في شعرية النثر إيحائية.

ان شعرية النثر مفهوم نقدي حديث يتحدد بالتحول الممتزج بين الشعر المنثور والنثر ذي الشعرية المتضمنة فيه حيث تسمى قصيدة النثر باسم: شعرية النثر.

وفي شعرية النثر مصطلحاً ودلالة يظل النقاد يرجعون كل مصطلح الى اصوله ونشأته ، ويظل بحثهم شاملاً في اصوله في التاريخ وتتبع تطوراته واللغة ومدى احتكاكه مع اللغات والثقافات الأخرى ، ثم مدى تطابقه على ادبيات اللغة الأم ، وعلى هذا كانت الشعرية النثرية لها الأثر في النقاد ، إلا أنه لو تصفحنا كتاب أي دارس لوجدنا أنهم يقفون عند ارسطو ، فيظل مفهوم الشعرية وشعرية النثر عائماً، هل كما وصفها ارسطو أم أنه مجرد انطلاقة عبر التاريخ، إلا أن الجنين أكتمل في العصر الحديث وبعد انطلاق كم هائل من الدراسات اللسانية و الشكلانية والتوليدية والتحويلية و السيميائية للتصاغر كلها في عصر بات الشكل عنصراً وليس أساساً ، وكذلك المعنى او المضمون. يمكن أن تكون البنيوية هي الأداة التي نحتت الشعرية وصقلتها بعد أن اهتم البنيويون بالمفردة من دراسات ومدى علاقتها ببنائها ومدى علاقتها ببناء الجملة أي تلك العلاقة الرابطة التي تشع منها صوراً ومعاني وتشتق لبناء معنى آخر ، لذا قاربتنا الشعرية

على أنها لا تهتم بالشيء دون الشيء الآخر ، وبالأدق فأنها تهتم بربط آلية الكماليات الفنية انطلاقاً مما يعطيه الحرف من ديناميكية في الصوت كإيقاع ومدى ارتباطه بالدفع – الديالتيك – مع المفردة كصوت واحد يرمز لمعنى أو يعطي معاني أخرى ترتبط بإيقاعات الجملة وتناسقها . الدلالة اخذت ارتباطاً آخر كشف عن البحث المضني ، ليس لأنها أخرجت الينا تصورات حول المفردة، بل لأنها ربطت المفاهيم وبين الدال والمدلول ، والربط هذا الذي عنى بمسافات راهنة تتموقع بذات الشعرية الخارجة من ظل كل الاحكام والبعيدة عن كل النظم بالعدول أو الانزياح أو الخيال جعلت الشعرية _ والشعرية النثرية _ تأخذ استقلالاً ذاتياً في ذاتها ، حتى أعطت دلالات خاصة بالحرف عند ارتباطه بالنبر أو المقطع ليعطي معنى آخر وتوسع غير منضبط في الخيال.

ومهما يكن الأمر ، فثم عوامل عديدة مهدت من الناحية الشكلية لقصيدة النثر المتحورة عن شعرية النثر في الشعر العربي القديم والحديث ، وأسهمت في نشوئها. ولا يخفى أنها هي جملة العوامل التي رافقت حركات التحديث الشعري في العالم العربي منذ أوائل هذا القرن . ومن هذه العوامل " التحرر من وحدة البيت والقافية ، ونظام التفعيلة الخليلي ، فهذا التحرر جعل البيت مرناً ، وقربه إلى النثر . ومن هذه العناصر انعتاق اللغة العربية وتحررها ، وضعف الشعر التقليدي الموزون ، وردود الفعل ضد القواعد الصارمة ، النهائية ، ونمو الروح الحديثة. ثم هناك التوراة والتراث الأدبي الكبير في مصر ، وبلدان الهلال الخصيب على الأخص . ومن هذه العناصر ترجمة الشعر الغربي . والجدير بالملاحظة هنا أن الناس عندما يتقبلون هذه الترجمات ، ويعتبرونها شعراً ، رغم أنها بدون قافية ولا وزن. وهذا يدل على أن في موضوع القصيدة المترجمة ، والغنائية التي تزخر فيها ، وصورها، ووحدة الانفعال ، والنغم ، عناصر قادرة على توليد الصدمة الشعرية ، دون حاجة إلى القافية والوزن . ومن هذه العناصر النثر الشعري ، وهو من الناحية الشكلية الدرجة الأخيرة في السلم الذي أوصل الشعراء إلى قصيدة النثر".

والشعرية في النثر ترتبط ارتباطاً مباشراً بالبنية والتركيب وما يعطيه من انساق لغوية ، أو اقرب الى نبوءات لتلك المفردة من أخيلة تتعدى الواقع أو تدور حوله ، وتخلق فجوة أو انزياحاً بعيداً عن اصل الكلمة ، ربما ذلك بمعين آخر كالاستعارة أو التشبيه ، في خلق انزياح يضع البنية تبتعد عن اصلها وإن كانت ثابتة للعيان أنها باكتمال المعنى لا تدل على معناها الأصلي ، فالخذ كالورد ، تعطي انطباعاً اخر بين متشابهين ، انزاح به فكر المتلقي بعد انزياح كبير تنسقه المتكلم وتعايش بسحره بتصورات ألوان جميلة تأخذه بين الخد والورد هذا الانزياح هو الذي تتبناه الشعرية بأن تخلق فجوة أو مسافة من التوتر جزءاً منه إرادي يعايش فيه الانسان وجزء يأخذه الى عالم آخر من الخيال؛ ليخلق ويستجلب كل الورود ليطباق مع الخد المرئي . فالشعرية في النثر أو شعرية النثر: تدل على مدى علاقة التركيب في فحوى النص، وعلاقة البنية مع ذاتها ثم مع تناسقها مع النص فهي لا تخص الشعر بذلك فحسب، وإنما تخص النثر وأن كل كلام يقال هو دائر تحت محكتها حتى تخرجه أما أنه كلام عادي أو أنه كلام فني يرقى الى مستوى عالٍ من الأدب . تسعى الشعرية الى ربط تركيب اللغة في اطروحاتها مع العلاقة التي تثير ذلك التركيب في المتلقي من خلال وضع المحسوسات في النفس ، مع الدلالات إن كانت لغوية أو نحوية أو بلاغية.

وهكذا فشعرية النثر ان يكون في النثر جماليات تجعل من نص ما شعراً.

والشعر النثري هو الشعر المكتوب بالنثر بدلاً من استخدام الشعر مع الحفاظ على الصفات الشعرية مثل الصور المترابطة والتأثيرات العاطفية. يمكن اعتباره في الأساس شعراً أو نثراً عبارة عن جنس فني جيء به لاستكشاف القيم الشعرية الموجودة في لغة النثر، ولغايات إيجاد مناخ مناسب للتعبير عن التجارب والمعاناة التي واجهها الشاعر بتضمينه صوراً شعرية عريضة تنسم بالكثافة والشفافية معاً، وتكمن أهميتها في حرصها على تعويض الانعدام الوزني في القصائد التقليدية. ويمكننا القول أنّ قصيدة النثر هي ذلك الشكل الفني الذي يسعى إلى التخلص من قيود نظام العروض في الشعر العربي، والتحرر من الالتزام بالقواعد الموروثة من القصائد التقليدية، بالإضافة إلى ما تقدم فقد عرفها بعض الأدباء بأنها عبارة عن نصّ تهجيني يمتاز بانفتاحه على الشعر والسرد والنثر الفني؛ ويتسم بافتقاره للبنية الصوتية الكمية ذات التنظيم؛ إلا أنّ له إيقاعاً داخلياً منفرداً بعدم انتظامه ويبرز ذلك بتوزيع علامات الترقيم والبنية الدلالية وفقاً لبنية التضاد.

وقد امتاز النثر الصوفي لغاية القرن السابع الهجري بانه نثر يحمل سمات الشاعرية والشعرية حتى وهو يسرد عن طريق المعنى الخاص والعام ما كان قصة جامدة كقصص الكرامات او المواعظ على سبيل المثال. وان كان هناك نثر صوفي بارد جامد خاصة في شروحات كتب الصوفية وهكذا: ليس كل النثر الصوفي شعرياً؛ فمنه نثر يسرد نظريات التصوف، وفلسفاته، وأشكال الأحوال والمقامات، وحالات الشطح والترقي الصوفي؛ مركزاً على رسالة التوصل؛ بإيراد المعنى بوضوح، والتدليل عليه، ورسم النظرية والتأويل، وهذا ما حدا بالبعض أن ينظر إلى بعض منجزات النثر الصوفي الشعري، باعتبارها أقدم نماذج قصيدة النثر.

لم يبدأ النثر الصوفي الشعري، كنصوص طويلة ومكتملة، في مرحلة واحدة، فإن ما وصلنا - من بداياته - لا يعدو كونه شذرات مجازية مكثفة، ربما يكون أقدمها هذه الشذرات المكثفة المشحونة، التي تعقب خطب الإمام علي بن أبي طالب، في نهج البلاغة، وتليها مرحلة البدايات التأسيسية لكتابة النثر الصوفي الشعري، وكان ذلك في القرنين الثاني والثالث الهجريين، حيث بدأ متصوفة القرن الثاني صياغة تجاربهم في عبارات مكثفة، أمست، فيما بعد، أقوالاً مأثورة، وفي القرن الثالث دخل النثر الصوفي الشعري مرحلة التدوين.

وبهذا حقت لغة النثر الصوفي الشعري شعريتها؛ القائمة على الكشف عن أصوات أخرى، كامنة في اللغة، وأشارت إلى أسرار وحجب لا تنتهي في فضائها، وما بين المستوى الظاهري للغة والمستوى المضمّر، تتوهج الأرواح، وتتدفق أمواجها، وما بين جدلية الظاهر والباطن، والحاضر والغائب، يتبدى السعي الدائم إلى "الإمساك بما هو باطني" وروحي.

وتجسد بعض نموذج ذلك في مواقف الصوفي النفري ومخاطباته حيث هذه النبذة الشعرية؛ التي حملتها كتابته النفري، كان لها فعل السحر في جيل الخمسينيات - في الشعر العربي - الذي افتقرن عمله الطبيعي بما سمي ب(قصيدة النثر) -؛ فأدونيس، في أول دراسة له عن قصيدة النثر ذات الشعرية النثرية أشار إلى أن هذا الجنس الشعري، نشأ أساساً في الأدب العربي، بخاصة نثر المتصوفة، وحاول أدونيس أن يقيم جسراً بين النثر الصوفي والتجربة الشعرية النثرية الجديدة، كما قدم أدونيس كتابته النفري، كنموذج (قديم) لكتابة (جديدة)، كانت خروجاً على الشكلية الكلاسيكية، وتأسيساً لشكل شعري آخر. واعتبر كتاب المواقف والمخاطبات، للنفري، أهم مصادر قصيدة النثر، وقال أدونيس: "لا أعرف كيف أصف دهشتي - حين قرأته -؟ أعرف أنني شعرت - وأنا أقرأه - أن لما أقرأه فعل القتل: قتل معظم الشعر الذي سبقه، ومعظم الشعر الذي أتى بعده، هكذا أدركت أنني أمام شاعر عظيم"، وأوضح أنه يعتمد الشكل والنظام، ولا يكرر لغة معروفة، وأنه يكتشف لغة غير معروفة، وأن اللغة عنده خالفة وليست مخلوقة، وأرجع قيمة الشعرية عنده إلى كونها، توجي بأكثر من معنى، وفي كونها لا تكتمل بل تظل مفتوحة، وفي كونها نقطة انطلاق لا نقطة وصول، وفي كونها كالإنسان ذاته، يتحرك أبداً صوب وجود مفتوح أبداً".

اي ان شعرية النثر في قصيدة النثر القديمة والحديثة وخاصة قصيدة النثر الصوفي التي تحمل السمات الشعرية يمكن أن نقسم عصور الشعر الصوفي ونشاطاته وشيوعه إلى مراحل زمنية متتالية: المرحلة الأولى - وهي " مرحلة الخلافة العباسية وما قبلها بقليل أي (100-200 هـ)، وتشمل القرن الثاني الهجري بأكمله، وفيها كان الشعر الصوفي يكون نفسه بنفسه، وينهض بتقاليد الفكرية والفنية؛ ليوصلها في أذهان الناس، وكان هذا الشعر الصوفي لمحات دالة أو قليلاً من الأبيات الموجودة، ومن شاعرات وناثرات شعرية النثر الصوفي هذه المرحلة الشاعرة رابعة العدوية (ت 185 هـ) - شهيدة العشق الإلهي- التي " تحسست ولا شك الصراعات المتضاربة والحادة في البصرة تلك أدافتها مرارة الفقر والحرمان أولاً، ثم جرفتها بعد ذلك إلى الهاوية المجون واللهو، ثم أفاقت أخيراً لتجلو عن روحها، ثم أقامت أخيراً لتجلو عن روحها ما غشيها من إسراف وتأنيم، فاعتزلت الناس وشؤونهم والحياة ومتاعها وعكفت على نفسها تطهرها بالعبادة المتصلة من أدران الفجور والضلال، وتتشد الاتصال الروحي بالله جل جلاله .



المرحلة الثانية- وهذه المرحلة تشمل قرنين من الزمان: الثالث والرابع الهجريين، وقد كان الشعر الصوفي في هذه المرحلة- في نهضة وازدهار، ومن شعرائه: أبي تراب عسكر بن الحسين النخشي، وأبو حمزة الخراساني. وتُعد هذه المرحلة بداية التصوّف الحقيقي ودور الموجد والكشف والأدواق.

المرحلة الثالثة- و " تشمل القرنين الخامس والسادس، وفيها يتجه الأدب الصوفي إلى الحب الإلهي، ومدح الرسول الكريم- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والشوق إلى الأماكن المقدسة ويدعو إلى الفضائل الإسلامية، وفي هذه الفترة نشأ الأدب الصوفي الفارسي، وُعد هذا الدور دور الكلام والتحرر.

المرحلة الرابعة- وتشمل القرن السابع الهجري، وفيه بلغ الشعر الصوفي قمة النهضة، ومن أعلامه عمر بن الفارض (ت 632هـ)، ومحي الدين بن عربي (ت 638هـ).

إن شعرية النثر الصوفي والأشياء الشعرية في التجربة الصوفية مختلفة، ومتناقضة ومتضادة من جميع نواحيها إلا أنها تبرز في النهاية متحدة، ومؤتلفة ومتناسقة، فمثلاً اللغة الشعرية الصوفية تُناقض اللغة الدينية (الشرعية) من حيث إن هذه أي اللغة الدينية تقول الأشياء لما هي بشكل كامل ونهائي، بينما اللغة الشعرية " الصوفية" لا تقول إلا صوراً منها؛ لأن المطلق لا يقال، ولا يوصف، ويتعذر الإحاطة به، ويقصر العقل عن معرفته، ويتولى القلب بالحدس والشوق والانفعالات معرفة الحقائق المراد الاطلاع عليها، ليس اطلاعاً، بل اندماجاً واتحاداً بها؛ لأنها الأصل، فما لا ينتهي لا يُعبر عنه إلا ما لا ينتهي والكلام، وتظل قدرات رمزية"، وسوف يظل القول الصوفي شأن القول الشعري مجازاً ولن يكون حقيقة كمثل القول الديني الشرعي.

. والصوفية ليست فرقة سياسية غايتها الوصول إلى سُلْم السلطة الدنيوية والجاه الدنيوي الزائل، إنما هي أحوال روحانية وسلوكيات ومقامات علوية مثل " الاعتراض لسلوك سُبُل الأولياء، والنزول في منازل الأصفياء ومباشرة حقيقة الحقوق ببذل الروح وتلف النفس واختيار الموت على الحياة.....؛ طمعاً في الوصول إلى المراد؛ لأنها " سلوك عملي فُصِدَ به كبح جماح النفس، وترويض طبائعها، ونفي خُبثها بتقليل الزاد وتخشين اللباس والنظر إلى الدنيا بعين الاعتبار.

ونستنتج مما تقدم ان هناك علاقة بين مثلث شعرية النثر والنثر الصوفي الشعري وادب المتصوفة شعرا ونثرا على حد سواء في ذلك لان شعرية النثر تتحول الى شعرية تصف التجربة في نثر وشعر المتصوفة لغاية القرن السابع الهجري وهو ما يجعل الدرس في تحديد وتحليل ذلك ذا امكانيات متكاملة لفهم شعرية النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجري.

المبحث الثاني: دلالة شعرية النثر الصوفي نحوياً وصرفيًا ودلاليًا

احتلت التحقيقات الدلالية ومعها التحقيقات المحددة لمعنى الكرامة ومبناها حيزاً من جهود المحققين العراقيين الباحثين في اللغة والنحو والصرف والمعاجم والدلالات اللغوية في لغة الصوفية حيث ان اقتران الدلالة والمعاجم عندهم كان نمطاً من انماط البحث اللغوي التحقيقي في الفكر الصوفي وفي شعرية النثر الصوفي وفي تحليل لغة الكرامات على سبيل المثال

يُقصد بالدلالة لغة الإرشاد إلى الشيء والإبانة عنه، واشتُقَّت هذه الكلمة بالأصل من الفعل (دَلَّل) بمعنى استيضاح الأمر بدليل نفهمه، والدليل: ما يُستَدَلُّ به، فدله على الشارح؛ أي يدلّه دلالة ودلالة، أمّا اصطلاحاً فهو العلم الذي يبحث في "المعنى"، ونظرياته مع كيفية جعل المفردات ذات معنى، كما تُعرّف الدلالة بأنها استخدام المفردات استخداماً مُعيّناً ضمن نسق لغويّ مع مفردات أخرى مع وجود علاقات بينهم حيث : "الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به شيء آخر، والأول هو الدال، والثاني هو المدلول.

المقصود بعلم الدلالة: هو العلم الذي يختص بجانب المعنى، فاللغة -كما نعرف- لفظ ومعنى، أو دال ومدلول، أو شكل ومضمون، أو صورة ومحتوى، وإذا كان اللفظ قد نال اهتمام الدراسات اللغوية على مر العصور والأجيال؛ لدرجة أن نشأت علوم كثيرة حوله مثل: النحو أو الـ "Syntax"، والصرف أو الـ "Morphology"، والصوتيات أو الـ "Phonetics" والأسلوب أو الـ "Style" والاشتقاق أو الـ "Etymology" فإن المعنى -الذي هو نصف اللغة- قد اهتم به أيضاً العلماء، وقد نشأ حوله علم واحد هو علم الدلالة.



ويعرّف هذا العلم بتعاريف كثيرة منها: أنه علم المعنى، أو علم دراسة المعنى، أو علم معاني الألفاظ، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى.

ومهما تعددت التعاريف لهذا العلم فإنها تُجمع على أنه دراسة للمعنى، فموضوع علم الدلالة: هو دراسة الرموز وأنظمتها بوصف كونها أدوات اتصال بين البشر، ومن بين تلك الرموز دلالات اللغة. وقد فرق بين الدلالة وعلم الدلالة: فالدلالة: ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه، والمعنى الذي تنقله الكلمة والذي يعبر عن العلاقة بين الدال والمدلول عليه؛ الدال هو الكلمة، والمدلول عليه، أي: الشخص أو الشيء أو المفهوم خارج اللغة.

وأما علم الدلالة: فهو علم يبحث في معاني المفردات، والعلاقات بينها، ويكشف عن تطورها، وعلم الدلالة يعد من أحدث الدراسات اللغوية وتأخر اهتمام المحدثين من علماء اللغة بمشكلة المعنى. ودراسة المعنى في لغة الشعرية الصوفية لشعرية النثر الصوفي هي أساس الدراسات اللغوية لظاهرة الكرامة، ومن ثم احتل البحث في دلالة الألفاظ مكانة سامية ومنزلة مرموقة بين علوم اللغة وبخاصة عند علماء العربية، وما كان ذلك ليحدث لولا ارتباطه الوثيق في نشأته بأقدس كتاب لبحث غريبه وتفسيره، والبحث في أسباب نزول آياته، والوقوف على الأحكام الشرعية منها؛ ولذا أفاد منه علماء التفسير والحديث وأصول الفقه وعلماء التصوف.

إن الدلالة اللغوية لشعرية النثر الصوفي لا تجمع بين شيء واسم، وإنما تجمع بين مفهوم وصورة سمعية، وهذه الأخيرة ليست هي الصوت المادي؛ أي: شيئاً فيزيائياً خالصاً، بل هي بصمة نفسية لهذا الصوت. أو هي دالة على الرمز المؤدي للخطاب غير المباشر.

والدلالة اللسانية للغة الشعر الصوفي عند علماء فقه اللغة في قضية شعرية النثر الصوفي: اعتبارية وهي الحاصل باتحاد الدال بالصورة السمعية بالمدلول المفهوم ويقصد بالاعتبارية Arbitraire أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة غير مُعللة بالمنطق والعقل، وقد أورد مثلاً في هذا الصدد لفظ الأخت (sœur) حيث: إن معنى هذا اللفظ "ليس مرتبطاً بأية علاقة قد نتخيلها موجودة داخل سلسلة أصوات لفظ: الأخت، وهي أصوات اتُّخِذَتْ وسيلةً كصوتِ دالٍ؛ لأنه يُمكن لهذه أن تُصوّرَ بأية سلسلةٍ أخرى من الأصوات تكون دالةً.

إن علم الدلالة هو جزء من علم اللغة في دراسة شعرية النثر الصوفي، أو مستوى من مستوياته، فاللغة هي نظام اتصال يجعل شيئاً ما على اتصال بشيء آخر، رسالة من ناحية ومجموعة من العلاقات أو الرموز من ناحية أخرى، ويعد المستوى الدلالي من أكثر المستويات أهمية، وذلك كونه يجمع الجوانب الثلاثة الأخرى في إطار واحد كي تكون خادمة له من أجل إفراز معنى ما يتمخض عن تحليل البنية اللغوية للجملة. وعلم الدلالة في أبسط تعريفاته المقاربة لمعنى شعرية النثر الصوفي: (هو العلم الذي يهتم بدراسة المعنى)، فإن هذا المعنى لا تبرزه إلا الكلمة، ولا حياة للكلمة إلا في إطار السياق الذي يحتويها سواء أكان هذا السياق مكتوباً مقروءاً، أم منطوقاً مسموعاً.

ولقد وضع مصطلح علم الدلالة (السيمانتك - Semantics): للمجال الذي يُعنى بتحليل المعنى للألفاظ اللغوية ووصفها، ولا تقتصر اهتمامات هذا العلم على الجوانب المعجمية من المعنى فقط، بل تشمل أيضاً الجوانب القواعدية، فإنّ مباحثه لا تقتصر على معاني الكلمات فقط، لا بل تشمل أيضاً معاني الجملة، وإنّ كان اللسانيون في عصر ما قبل الثمانينات يميلون إلى الاقتصار على معالجة المعاني المعجمية للمفردات فقط دون أن يتطرقوا تطرفاً كافياً للعناصر القواعدية وبنى الجملة، وكان لتطور النحو التوليدي أثر بارز في توسيع مفهوم علم الدلالة البنيوي المعجمي ليشمل مباحث تتصل بعلم دلالة الجملة على ما سنراه في تطبيقه على شعرية النثر الصوفي.

فالدلالة عند المحققين والباحثين المحللين لشعرية النثر الصوفي في استدرآكاتهم اللغوية في العصر الحديث: تتعلق بالقصدية في النحو العربي والصرف العربي في اقترانهما حيث: انتبه النحويون العرب في تعبيدهم الأحكام النحوية للعلاقة القائمة بين ما نطقت به العرب وما ارادته أي القصد من كوامن العلل

والاغراض والمقاصد المنسوبة إليها في قضية الكرامة فقصد المتكلم عندهم يؤثر في الوظائف الاعرابية وتحديدها على الوجه الذي ينبغي ان تكون له.

ومن نماذجها عندهم الدلالة الصوتية للكرامة الصوتية في اظهار صوت الولي باعتبار : إن الدلالة الصوتية هي ما تؤديه الأصوات المكونة للكلمة من دور في إظهار المعنى، وذلك في نطاق تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة، سواء كانت هذه الأصوات صوامت (consonants) أو حركات (vowels) وتسمى بالعناصر الصوتية الرئيسية التي يشكل منها مجموع أصوات الكلمة التي ترمز إلى معنى معجمي، كما تتحقق الدلالة الصوتية كذلك من مجموع تأليف كلمات الجملة وطريقة أدائها الصوتي ومظاهر هذا الأداء، وهذا ما يعرف بالعناصر الصوتية الثانوية التي تصاحب ذاتية الكلمة المفردة.

والدلالة الصوتية تعتمد على تغيير الفونيمات، أي باستخدام المقابلات الاستبدالية بين الألفاظ، حتى يحدث تعديل أو تغيير في معاني الألفاظ لأن كل فونيم مقابل استبدالي لآخر، فتغيره أو استبداله بغيره لا بد أن يعقبه اختلاف في المعنى، كما نقول في العربية: نفر ونفذ، فبمجرد استبدال الراء بالذال يتغير معنى الكلمتين بصورة الية... وعليه كل حرف أو حركة في اللغة العربية يمكن أن يكون مقابلاً استبدالياً، فالحروف في تبدلها ذات وظيفة فونيمية، كذلك الحركات في توصيف شعرية النثر الصوفي لها دلالة صوتية، أي ذات وظيفة فونيمية أقرب إلى وظيفة الحروف في تغيير معاني الكلمات.

فمن تحقيقات الدلالة الصوتية تحقيق ايجاد شعرية النثر الصوفي كراماتياً في قضية دلالة تفخيم الاصوات ودلالات في النثر وشاعرية النثر عل سبيل المثال هذا التفخيم في الاستدراك اللغوي الدلالي حيث ترى : ان تفخيم الاصوات قد يقع في غير اللغة الفصيحة .

ومن نماذج دلالة شعرية النثر الصوفي للكرامات الدلالة السياقية حيث: الدلالة السياقية الصرفية لشعرية النثر هي تعلق الفعل وابوابه بالسياق الدلالي في توصيف بنى الكرامة من قبل الولي الصوفي دلاليًا وفق النظام الذي يجي عليه اذ السياق: يعد وسيلة للحصول على الدلالة الدقيقة والمضبوطة من مجموعة من الأوجه الدلالية المحتملة و دلالة الصيغة الصرفية: دلالة مفردة معزولة عن السياق، تتميز بالتعدد والاحتمال، فمثلاً صيغة (سائل) على وزن (فاعل) تحتل أكثر من معنى بالنظر إلى صيغتها؛ فيمكن أن تكون اسم فاعل ويمكن أن تكون صفة ويمكن أن تكون فعل أمر. وهذه المعاني المتعددة تحتاج إلى ما يحصرها ويزيل عنها اللبس. كما في نموذج سوال السائل للشانلي عن كرامات لغة حزب البحر الصوفي :

وننتج عن الجمع بين مصطلحي دلالة وسياق ما يسمى بالدلالة السياقية، وهو مصطلح فرضته طبيعة اللغة السياقية، فاللغة البشرية محتاجة إلى التركيب بين الكلمات، وإلى شحنها بمقاصد معينة، لذلك كانت الكلمة المفردة قاصرة عن إبلاغ الفائدة وتأدية الأغراض التواصلية المختلفة، وكان السياق -بنوعيه - وضمنه الدلالة هو المعيار الأساسي لتكون الدلالة السياقية الصرفية المتعلقة بالفعل وما يشتق من الأسماء منه هي أحد أنواع الدلالة التي تتأثر بالسياق، لذلك كانت دلالة عملية فالدلالة السياقية الصرفية: (المعنى الفعلي في مثال معين في مكان معين في نص معين مع موقف معين)

وهكذا فان الدلالة السياقية تتعلق بسياق البناء الشعري للمبنى النحوي والصرفي والافعال الثلاثية المزيدة هي اساس الدلالة السياقية في دلالة الافعال على سياق الزمن المنظور في الماضي والحاضر والمستقبل حيث السياق هو اقتران الزمان في شعرية النثر الصوفي بالفعل العربي وهذه الافعال هي عند الدكتورة خديجة الحديثي في شرح دلالتها السياقية لتوظيفها في شعرية النثر الصوفي:

وتتحدد الافعال الثلاثية المزيدة بمجموعة الصيغ والاوزان والابنية المنبثقة من ميزانها الصرفي في تحليل البناء الصرفي لشعرية النثر الصوفي وهي:

(دلالات الزيادة في حدود الفعل الثلاثي على ما تلحق به من زيادات لازمة او غير لازمة)

وهو ما تجسد في تمايز دلالات السياق في قضايا دلالة المتشابه اللفظي في شعرية النثر الصوفي. وذلك في لغة توصيف الكرامات عند الاولياء وواصفي كرامات الاولياء لمجئ الكلمة في اصل فعلها في السياق الدلالي وكل فعل أريد منه الدلالة السياقية على ثباته في صاحبه حتى أشبه الغرائز، يجوز أن تحوله من باب المسموع، إلى هذا الباب للمبالغة في المدح مثل فهم يفهم وكذب يكذب بمعنى أن الفهم والكذب صارا ملكة ثابتة في صاحبهما يضمنه معنى الاعتلال في المراد من دلالاته فالفعل ركن الدلالة



لمهم في العربية وفي بناء الجملة العربية دلالية اذ اهتم القدامى كما يرى الدكتور ابراهيم السامرائي بالفعل لانه صاحب العمل في الدلالة

وترتبط دلالات الثلاثي المجرد بالفعل نفسه شاعريا وفعليا في السياق الشعري في تركيبته الزمنية حيث ان ابنية الافعال الواصفة لذاتية الكرامة المجردة هي تتعاقب بين الجمود والاشتقاق فالجامد في ابنية الافعال الثلاثية مالزم صورة واحدة اي صورة الفعل التي وضعت على صورته الحقيقية ابتداءا فليس لها اصل ترجع اليه والفعل الجامد هو الذي يدل على معنى مجرد عن الزمان مثل ليس وحبذا وبئس وعسى وسواها فهي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان في الماضي والحاضر والمستقبل حيث تفرع الفعل الى : حقول دلالية من المسلمات اللغوية والتأليفية في شعرية النثر الصوفي قديما وحديثا .

حيث في السياق الدلالي الصرفي والاعرابي للدلالات بانواعها في توصيف الكرامة في شعرية النثر الصوفي : معظم الوحدات اللغوية تقع في مجاورة وحدات أخرى. وإن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها. وفق الدلالة السياقية للباحثين العراقيين وتحديدهم لها.

وضمن الدلالة السياقية للدرس الشعري في توصيف شعرية النثر الصوفي: الى ان من المهم دلالية اعادة تبويب موضوعات الشعرية النظرية من جديد وتكتب بطريقة تقربها من الافهام:

ولقد اكد محلول شعرية النثر الصوفي اهمية الدلالة بكل افرعها في الدرس اللغوي الحديث فيقارن الدكتور عبدالكريم مجاهد في كتابه (الدلالة اللغوية عند العرب) بين المشترك اللفظي والمشارك اللفظي لشاعرية النثر وشعريته مما يقارن عند الباحثة بشعرية النثر الصوفي, ويخلص من مقارنته ذلك ان هناك نقطة التقاء بيننا وبينهم ونقطة افتراق.

وفي الوقت نفسه يلمح الى المنهج الذي اتبعه العرب في دراسة المشترك اللفظي في شعرية النثر الصوفي, والمنهج الذي اتبعه الغربيون, وموقف اللغويين المحدثين من ذلك, فيقول الدكتور مجاهد واصفا المشترك الدلالي :

(ويبدو أن الغربيين في دراستهم للاشتراك يفصلون بين مصطلحين هما:

Polysemy ويعني تعدد المعنى للكلمة, وهذا أقرب لمعنى المشترك في العربية).

ومن البين ان المحدثين في دراساتهم الدلالية الاستدراكية على النحو والصرف وشعرية النثر في القواميس والمعاجم اوجدوا قيمة للدلالة نفسها وبخاصة الدلالة اللغوية العامة او بعبارة اخرى في شعرية النثر الصوفي ودلالته على بنى الكرامات ومعانيها:

(لعل في طبيعة الدلالة الذي يعني بالدلالة الحقيقية الوضعية للكلام والتي غايتها الاخبار والتي تختلف عن الدلالة التي تبحث فيها البلاغة وهي الدلالة المضافة التي غايتها التأثير ما يجعله ينأى عن طبيعة الدراسات البلاغية التي تهتم بالدلالة _ للغة الشعر الصوفي والنثر الصوفي_ التي يكتسبها الكلام ليناسب المقامات التي يقال فيها وهي معان ثنوية مضافة الى المعاني الاولية التي يدل عليها الكلام والتي يعنى النحو بدراستها).

اي ان الباحثة ترى اهمية الدلالة في ادراك سياق المعنى النحوي بموازاة الناي عن الدلالة البلاغية وسواها في فهم شعرية النثر الصوفي.

ونجد ان الباحثين في شعرية النثر الصوفي للكرامات اولوا عناية للدلالة الصوتية هي الدلالة التي تعتمد على القيمة الصوتية للحرف الواحد وما يُعبّر عنه، ودُكر من قبل ابن جني في كتابه (الخصائص) العديد من الأمثلة عليها منها الفعلين (قَضَم- حَضَم)، فالفعل الأول يُقصدُ به: (أكل الشيء اليابس)، أمّا الثاني فهو: (أكل الشيء الرطب)، وقد أدّى هذا الاختلاف في وجود حرفيّ (القاف-الخاء) في معنى الفعلين؛ لما يراه العرب في حرف الخاء أنّه حرف (رخو)، وأنّ حرف القاف حرف (صلب).

ومن اسهامات الباحثين العراقيين الدلالية تحقيقهم في استدركاتهم اللغوية للدلالة الصرفية نفسها في افعال شعرية النثر الصوفي حيث هي الدلالة التي تأتي من الصيغة الصرفية للكلمة، وهي دلالة تكتسبها الكلمات من خلال وزنها؛ ابان تحديد مكامن الكرامات فمثلاً: صيغة "فَعَال" تدل على شخص وقع منه الفعل مع مبالغة لا نجدها في صيغة "فاعل"، وصيغة "فَعَل" تدل على تكثير الفعل أو تكرره، مما لا نجده في الصيغة الثلاثية "فعل" ... وهكذا.

فقد تفيد الصيغة في لغة الكرامة معنى جديداً زائداً على المعنى المعجمي، ففي اللغة العربية نجد كلمة "قطع" في قول الصوفية: (قطع القطب الامر). تفيد مجرد الفصل والقطع، لكن كلمة "قطع" بتضعيف العين- تفيد فوق المعنى الأول -وهو المعجمي- معنى زائداً: هو المبالغة في القطع، ومثل ذلك قوله تعالى عن امرأة العزيز: {وَعَلَّقَتْ الْأَبْيَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ} (يوسف: 23)؛ فقد جاء الفعل بالتضعيف "غلق" ليدل على المبالغة في الغلق، الذي يدل على قوة العزيمة في الإقدام على المنكر، وهذا ما يحمل بطريق غير مباشر براءة يوسف -عليه السلام.

إذاً؛ لم يدل على مجرد الغلق، ولكن دلّ على هذه المعاني التي ذكرتها؛ ولذلك جاء الفعل مضعفاً، وهذا الباب واسع في لغتنا العربية في شعرية النثر الصوفي، وقد لمس العرب عند حديثهم عن معاني صيغ الزوائد في كتب الصرف، ولمسوه كذلك حينما قام ابن جني من اللغويين بعقد أبوابٍ للدلالة -تلك التي أشرت إلى بعضها منذ قليل- مثل: باب في قوة اللفظ لقوة المعنى، وباب في مناسبة الألفاظ للمعاني... إلى آخره. في مضامين البنى التي هي بين المعاني وبين ما اصطلح عليه من مبان.

إن علماء تحليل شعرية النثر الصوفي قد التفتوا في دراساتهم اللغوية الصرفية إلى الصيغة، ودار حولها منذ البداية إلى النهاية علم الدلالة العربي، فتم تععيد صيغ العربية وتحديد أصنافها وأقسامها، ثم حدثت تلك الالتفاتة الرائدة في هذا الفرع من علم اللغة العربي إلى الدلالات الخاصة التي تقوم بها الصيغة التي يصف بها الصوفي أو الولي الكرامة شاعرياً، وذلك أمر يكون في الأعم الأغلب فوق الدلالة المعجمية التي نصت عليها كتب المعاجم، في كون دلالة شاعرية الفعل في أفعال توصيف الكرامة يشبه ما يذكر دلاليًا من أن شعرية الأفعال في نثر الكرامات وشعرها تدل على ارتباط الحدث أو الفعل الذي تدل عليه أساساً، بشيئين: أحدهما: الفاعل من جهة وقوع الحدث منه، وثانيهما: المفعول به من جهة وقوعه عليه، وفي حالة اللزوم يقع الارتباط بين الحدث وبين الفاعل فقط. عندما يعدل أحياناً عن الفعل إلى الاسم في دلالة أن يعبر عن الحدث بالفعل.

والدلالة الشعرية في النثر الصوفي تبرز في اللغات البشرية الراقية؛ لأن هذه الدلالة تكشف عن ظاهرة أخرى لها أهميتها في واقع اللغات، ألا وهي ظاهرة الاشتقاق الدلالي، وقد اهتم بها علماء اللغة المحدثون، وجعلوها شريحة من شرائح علم اللغة، وفرعاً من فروعها، ومستوى من مستويات اللغة، فالاشتقاق مناطه وأساسه وهدفه تنويع المعنى، وتخصيص الدلالة، والتقريب بين معنى وآخر، حتى تمتلك اللغة الوسائل المتعددة في التعبير عن الدلالات والمعاني الدقيقة حيث الكشف عن المعنى هو مصداق البيان في البعد الدلالي عامة. كما في نموذج وصف الدلالة بانها لدى بعض الصوفية: دلالة احوال فاخرة.

ونصل مما تقدم إلى تحديد ان دلالات شعرية النثر الصوفي دلاليًا كانت ذات صفات تاصيلية للبنى اللغوية نحويًا وصرفيًا وسياقيًا وإيضاحًا للمباني ودلالاتها والمعاني ودلالاتها في توصيف الكرامة مع تنبيههم لمشكلات الدلالة الاصطلاحية في ابراز مكانم الخلاف الدلالي في عين المصطلح الدلالي. مما يبرز عند الباحثة أهمية فهم السياق الدلالي لشعرية النثر الصوفي وتطوره لفهم كيف صاغ الصوفية توصيف كراماتهم.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، يتضح أن شعرية النثر الصوفي تمثل ظاهرة أدبية ولغوية عميقة تتجاوز الحدود التقليدية بين النثر والشعر، حيث تتداخل فيها البنى التعبيرية لتشكل خطاباً متميزاً يجمع بين الجمالية والروحانية. فالنص الصوفي لا يُقرأ بوصفه خطاباً لغوياً عادياً، بل بوصفه تجربة وجودية تتجلى فيها الذات الباحثة عن الحقيقة، وتسعى إلى التعبير عن ما لا يُقال بلغة مباشرة.

وقد بين البحث أن مفهوم شعرية النثر يقوم على توظيف خصائص شعرية داخل بنية نثرية، مثل التكتيف والإيحاء والانزياح والإيقاع الداخلي، مما يمنح النص طاقة تعبيرية عالية دون الحاجة إلى الوزن والقافية. كما أظهر أن هذا المفهوم لم يكن وليد الحداثة فقط، بل إن جذوره تمتد في التراث العربي، وبخاصة في النثر الصوفي الذي قدّم نماذج مبكرة لكتابة تمتاز بالشاعرية والانفتاح الدلالي. كما ترى الباحثة

كما كشف البحث عن خصوصية اللغة الصوفية التي تقوم على الرمز والتلميح، في مقابل اللغة الدينية المباشرة التي تتسم بالوضوح والتحديد. ويرتبط ذلك بطبيعة التجربة الصوفية ذاتها، إذ إنها تجربة داخلية



روحية تتجاوز حدود العقل واللغة، مما يجعل التعبير عنها يعتمد على الخيال والحدس والانفعال. ومن هنا، فإن النص الصوفي لا يقدم معنى واحداً مغلقاً، بل يفتح آفاقاً متعددة للتأويل، تبعاً لاختلاف القارئ وخلفيته.

ومن جهة أخرى، أبرز البحث أهمية الدلالة بوصفها محوراً أساسياً في فهم شعرية النثر الصوفي، حيث لا يتحقق المعنى إلا من خلال تفاعل المستويات اللغوية المختلفة، كالصوت والصيغة والتركيب والسياق. وقد تبين أن السياق يلعب دوراً حاسماً في توجيه المعنى، وأن المفردة لا تُفهم بمعزل عن محيطها النصي، خاصة في النصوص التي تتناول الكرامات والتجارب الروحية ذات الطابع الرمزي. كما أظهر البحث أن البنية الصرفية والنحوية تسهم في إنتاج دلالات دقيقة، وأن التغيرات في صيغ الأفعال أو أنماط التركيب يمكن أن تعكس أبعاداً معنوية عميقة تتجاوز المعنى المعجمي المباشر. وهذا ما يؤكد أن اللغة الصوفية ليست لغة عفوية، بل هي بناء فني دقيق يقوم على اختيار واعٍ للألفاظ والتركيب بما يخدم التجربة الروحية.

وفي ضوء ذلك، يمكن للباحثة القول إن شعرية النثر الصوفي تمثل مجالاً خصباً للدراسة النقدية واللغوية، لما تنطوي عليه من تداخل بين الفن والفكر والروح. كما أن فهمها يتطلب مقارنة تكاملية تجمع بين التحليل اللغوي والتأويل الدلالي، نظراً لما تتسم به من كثافة رمزية وثراء تعبيرية. وبناءً على ما تقدم، يوصي البحث بمزيد من الدراسات التي تتناول النصوص الصوفية من زوايا متعددة، خاصة في ضوء المناهج الحديثة، للكشف عن أبعادها الجمالية والدلالية، وإبراز إسهامها في تطور الأدب العربي، بوصفها شكلاً إبداعياً يجمع بين عمق التجربة وجمال التعبير.

المصادر والمراجع

- 1- الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، انيس المقدسي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1986 م.
- 2- الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث: د.سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة، بيروت، 2000.
- 3- الأدب في التراث الصوفي، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة غريب، القاهرة.
- 4- الأصوات المذلقة في اللغة العربية، ولاء صادق محسن، ط1، الوقف السنوي، بغداد، 2019.
- 5- البحث الدلالي في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، احمد ابراهيم صاعد، ط1، الوقف السنوي، بغداد، 2012.
- 6- تأسيس كتابية جديدة، ادونيس، مجلة مواقف المغربية، نوفمبر / ديسمبر 1971.
- 7- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، محمود عكاشة، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة 2005.
- 8- التصوف الإسلامي- مفهومه وتطوره ومكانته من الدين والحياة، حسن عاصي، ط2، مؤسسة عز الدين، بيروت، 1994م.
- 9- التعرف لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ، ابو بكر الكلاباذري، تحقيق: محمود النوادي - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - 1400هـ/ 1980م.
- 10- التعريفات، الجرجاني، ط2، دار العلم، بيروت، 2011.
- 11- الثابت والمتحول (صدمة الحداثة)، ادونيس، دار العودة، بيروت، 1978م.
- 12- الجنس الأدبي بين المؤهبة الفردية والرأفة العربي، محمد ديب، مجلة (علامات) - ج12/م3 - يونيو 1994.
- 13- حركة الحداثة في الشعر المعاصر، كمال خير بك، دار المشرق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1982م.

- 14- حزب البحر, ابو الهدى الصيادي, ط2, بيروت, 1905م.
- 15- الخلاف الدلالي عند علماء العربية , لطيف عبد السادة سرحان, ط1, دار الشؤون الثقافية, بغداد, 2017.
- 16- الدراسات اللغوية في العراق, عبد الجبار جعفر القزاز, ط1, دار الرشيد, بغداد, 1981.
- 17- دلالة الاعراب لدى النحاة القدماء, بتول قاسم ناصر, ط1, دار الشؤون الثقافية, بغداد, 1999.
- 18- الدلالة السياقية عند اللغويين, عواطف كنوش المصطفى, ط1, دار السياب, لندن, 2007.
- 19- الدلالة اللغوية عند العرب, عبد الكريم مجاهد, ط1, دار الضياء, عمان, الأردن, 2011.
- 20- الدلالة في لغة الصوفية, زينة جليل عبد, ط1, الوقف السنوي, بغداد, 2011.
- 21- الدلالة والسياق في العربية, سليمان محمد, ط2, دار القلم, دمشق, 2011.
- 22- الدلالة, محمد عبد الله, ط2, دمشق, 2009.
- 23- الرَّوْحَانِيَّةُ فِي الْفَنِّ - فاسيلي كاندينسكي - تَعْرِيْب: فهمي بَدَوِي, وَتَقْدِيم: محمود بقشيش - الهيئة المصريَّة العامَّة لِلْكِتَاب - 1994 .
- 24- السراب والنبع, مصلح النجار, ط1, المؤسسة العربية, بيروت, 2005.
- 25- السياق واثره في توجيه الصيغ الصرفية, سماح ايمان بوروس, ط1, الجزائر, 2019.
- 26- شعر عمر بن الفارض- دراسة في فن الشعر الصوفي- عاطف جودت نصر, ط1, الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع, 1982م.
- 27- شعرية النثر, ادونيس, مجلة شعر, بيروت, عدد 14, 1988.
- 28- شعرية النثر, عدنان كريم رجب, أ.م.د.الجامعة المستنصرية – كلية الآداب وهديل علي كاظم جامعة واسط – كلية التربية, مجلة كلية التربية, بغداد, مجلد 1, عدد 32, 2018.
- 29- شعرية النثر, علي كاظم وعدنان رجب, بحث, مجلة كلية واسط, عدد سبتمبر 2018.
- 30- علم الدلالة العربي- النظرية والتطبيق, فايز الداية, ط1, دار الفكر المعاصر, بيروت, 1996 .
- 31- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية, فريد عوض حيدر, ط1, القاهرة, مكتبة الآداب, 2005.
- 32- علم الدلالة, احمد مختار عمر, ط2, الدار الجامعية بيروت, 2013.
- 33- الفعل زمانه وابنيته, ابراهيم السامرائي, ط1, الرسالة, بيروت, 1980.
- 34- في الأدب الصوفي, نظمي عبد البديع, ط2, القاهرة.
- 35- القصيدة واثرها في توجيه الاحكام النحوية حتى نهاية القرن الرابع, د حيدر جاسم جابر الدنيانوي, ط1, دار الوضاح ودار دجلة, عمان, الاردن, 2016.
- 36- لغة الشعر الصوفي, نظيم محمد, ط2, دمشق, 2010.
- 37- محاضرات في علم اللسان العام, دي سوسير, ترجمة محمد القنيني, ط3, دار العلم, دمشق, 2011.
- 38- المدخل إلى علم المعاجم والدلالة, احمد علي محمود ربيع, ط1 مكتبة الرشد, الرياض, 2007 .
- 39- مصطلحات الدلالة العربية دراسة في ضوء علم اللغة الحديث, جاسم محمد عبد العبود, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 2007.
- 40- المنهل الاعذب في اخبار السيد ابراهيم الاعزب, السيد احمد عبد الكريم عبد الجبار النعيمي, ط1, دار محررو الكتب, بغداد, 2022.
- 41- النار والجوهر دراسات في الشعر, جبرا ابراهيم جبرا, ط3, المؤسسة العربية, بيروت, 1982م.
- 42- نظرية الحقول الدلالية في كتاب المخصص لابن سيده, رزاق الازيرجاوي, ط2, الينابيع, دمشق, 2010.
- 43- طبقات الشعراني, الشعراني, ط2, بيروت, 2010.

الروابط:

: تعريف قصيدة النثر, ايمان الحيارى, على الرابط

https://mawdoo3.com/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81_%D9%82%D8%B5%D9%8A%D8%AF%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%AB%D8%B1